

## المجالس الشعبية في القوش

بقلم نبيل يونس دمان



مجلس محلة اودو الشعبي / القوش في الاربعينات من القرن الماضي

نبيل دمان

يتجمع الناس خصوصاً الكبار في السن في اماكن عديدة منها السوق ، المقاهي ، الخانات ، القيسيريات ( مجموعة دكاكين لها سقف مشترك ) ، امام البيوت ، وفي سفح الجبل . وكذا تفعل النساء بالجلوس امام البيوت فقط للتسامر والحديث او يضعن امامهن

صواني الحنطة لابعاد الشوائب عنها ولتصبح جاهزة لعمل الخبز والمؤونة ، او يحكن الخيوط او يطرزن الاغطية او يصنعن الملابس او الجواريب الصوفية ، او يغزلن اطباق الخبز واغطية الرأس للاطفال ( شفقة ) وتحفيات اخرى من سيقان الحنطة بعد صبغها بالالوان .

كان اشهر مجالس البلدة يقع في محلة اودو وقد اكتسب هذا الديوان اهمية من موقعه على طريق الكنيسة وفي اقدم احياء البلدة . ويبدأ الشيوخ بالتقاطر على المجلس في العصر فيتخذون اماكنهم مفترشين الارض المرصعة باحجار ملساء ، ويتناولون في احاديثهم المختلفة شؤون واخبار المنطقة وحتى في السياسة ! وعلى نياتهم ونمط تفكيرهم وبساطتهم . يقال ان النقاش كان يحتدم بينهم في ايام الحرب العالمية ، فقسم ينحاز الى الحلفاء وقسم الى المحور ، والاخير يصمم شاربه على طريقة ادولف هتلر !! وكان المرحوم عيسى كوريال يجادل بضاوة مدافعاً عن المسقوف ( الروس ) وحتى لو اضطره التلويح بالغليون ( قَلون ) المثبت على الدوام خلف رقبتة في ذلك المجلس .

فيما عدى النقاشات وتناول بعضهم بالنصب والتعليق ، كانت روح النكتة والفكاهة قوية عندهم ، واشتهرت تعليقاتهم في انحاء البلدة ، ويات الناس يخشون العبور من امام ذلك المجلس خشية التعليق والنعوت التي يطلقونها بسرعة على العابرين فتظل سمة متلاصقة به للابد ، وقد تسري على اولاده ايضاً . وكان الكثير من الناس يغيرون طريق الكنيسة بأخر اطول لدرء تعليقاتهم ، والبعض الآخر قبل وصوله الى المجلس يبادرهم بالقول " اطلقوا ما تشاؤون من نعوت امامي ، وقبل ان ادير وجهي ، ولن ازعل على احد " .

كانت تلك القنطرة ( وهي غرفة طويلة مبنية فوق زقاق تقطعه في العرض وترتكز على جانبيه وبذا يصبح تحتها المعبر والمجلس في آن واحد ) ، كانت تلك الغرفة

المسماة محلياً ( كوجك ) لها شباكين على طرفي الشارع المؤدي الى الكنيسة ، ويا له من موقع ، حتى ان كثير من العازمين على اختيار شريكات حياتهم يجلسون امام ذلك الشباك مراقبين المرور ، وفي ارضية تلك الغرفة شباك ثالث مصنوع من قضبان حديدية ، وبذا تصبح تلك النافذة سقفاً للقنطرة ايضاً ، تحت تلك الغرفة او الممر كان الجلوس فيه مغرباً وخصوصاً في فصل الصيف فيسحب الهواء ويمرره لينعش المتخذين منه جلساتهم للاحاديث الممتعة من اصغر الجالسين عمراً الى اكبرهم .

يروى معاصري ذلك المجلس الحادثة التالية : عند مرور العم ( دنخا ) امام مجلسهم وهو يعتمر قلبه المخروطي ( كسيثه ) ، اوقف في منتصف القنطرة تماماً للحديث معه ، فيما انتهز صبيان الفرصة فانزلوا حبلاً في نهايته حديد معقوف ( جنكال ) من شباك الكوجك ، حتى تعلق بخيط قلب العم دنخا وشرعوا بسحب الحبل تدريجياً . فجأة شعر بنسمة هواء تعبر فوق رأسه فيما هو منهمك في الحديث ، فتفحص بسرعة قلبه ليكتشف انه يرتفع في الهواء ! فيما المجلس يغرق بالضحك ، يبدأ العم دنخا باطلاق شتائم على الاولاد وكذلك على آباءهم ويقول لهم تلك تعليماتكم ايها الاشرار ..... مرة اخرى اخرى كان ( ججو ) يحمل امرأة بدينة الى كراج السيارات لنقلها للعلاج في الموصل ، وقد لف حبلاً على ظهرها وحملها مجتازاً قنطرة محلة اودو ، وما ان وصل الى منتصفها والمجلس كعادته مفترش الارض صامتٌ ينتظر صيداً جديداً ، فما كان من احدهم الا ان اطلق نداءً قويا ، يقول فيه : ان المرأة قد تقيأت على جسمه ( مامي ججو ، جيره الخ ) ، فانقض الحمال ملقياً حمله العجيب على الارض ، والمجلس كعادته غرق في الضحك ، هنا استلم المجلس شتائم متنوعة من الرجل ، فلم يزلوا عليه ، بل فرحوا ، واعتبروها كطلقات العرس ( تفنك داوه ) ، وتقدم بعضهم لمساعدته في حمل المسكينة ثانية ، على ظهر ذلك المهاجر ، الذي عاش بين ظهراي اهل البلدة في الثلاثينات .

هناك مهاجر آخر كان مؤجراً في غرفة في محلة اودو نفسها ، ويقال عندما تعصف مصيبة باحد ابناء البلدة كأن يهاجم او يداهم اللصوص بيته فيطلق نداء الاستغاثة ، فيهب الناس مسرعين لمساعدته فيما يخرج ذلك المهاجر وزوجته رأسيهما من فتحة الباب ( بيسكره ) ليقولان باعلى صوتهما : الحقوا بهم ، دمروهم ( چقوله يمّي ) ، عندما فطن اهل البلدة الى مصدر ذلك الصوت رجعوا اليهما قائلين : لماذا لا تخرجوا معنا للمساعدة في ردع ( كذا ) فيجيبان بالقول نحن نشجعكم ونرفع حميتكم ، من داخل غرفتنا فقط ، اما خارجها فلا يشغل بالنا .

كان كل جليس في ذلك المجلس له تخصصه فمنهم الشامسة المتمكنين باللغة الأرامية وبالزمير الكنسية ، ومنهم ناقلي اخبار العشائر المجاورة ، من الاكراد والايديين والاشوريين ، ومنهم من يجيد التندر والتفكه مثل منصور حنونا ( دلّه ) ، وقسم رواة قصص ( حكاياتي ) مثل (توما قاتي ) الاعمى ، حيث قسم من حكاياته اكتسبها ، من رحلاته المتكررة الى بغداد ، والجميع يصغي اليه بانتباه وشوق ، وهو يرويها بأسلوب جذاب سلس ، تستمر كل حكاية عدة ايام وكانت لازمته قبل ان يبدأ بالقول ( مرو شمّد آها ) اي قولو باسم الله . هناك شخص في ذلك المجلس موهبته تكمن في تحديد الوقت ، وذلك بالنظر الى الشمس وتحديد الزمان بدقة غالباً ، كأن يقول " باق خمسة دقائق لناقوس الرمش " وفعلاً يحصل ذلك واسم الشخص كان ( نونو شاجا ) ويجلس ايضاً چاكا حنونا الاعمى ( اصبح ضريراً في سني الحرب العالمية الاولى ، حيث سكب زيت مغلي في عينيه اثناء تجنيده قسراً قسرياً في تركيا ) ، لقد كان چاكا يروي الكثير من القصص والمشاهدات من بلاد تركيا ، الغرائب والاهوال والمآسي التي رآها بام عينيه .

هناك مجالس اخرى في البلدة عدا التي اسهبنا الحديث عنها مثل : رش كوزّه ، فوق الصخور ( رش كافه ) ، وعند تجمعات مياه الامطار ( خبرائه ) في اطراف

البلدة حيث يفترش المجلس ارضاً خضراء خصوصاً في فصل الربيع ، او يجلسون في قيسيريات بالسوق ، والقيسيرية مبنى من عدة غرف مسقفة ، حيث يضرمون النار في وسطها ايام الشتاء القارس ويتحلقون حولها ، ومن دخانها ودخان سكائرهم تكاد لا تميز الجالسين وبعضهه يلثم وجههه ببشماغيه انقاءً من البرد ، هناك يقضون ساعات طويلة من نهارهم في الاحاديث الشيقة المختلفة .

كان البعض يتخذ مجلسه في احد الخانات ، وهو يراقب الداخل اليها والخارج منها وكذلك البضائع والمحاصيل التي تصل اليها من القرى المجاورة . قسم منهم ينتظر وصول التبوغ بانواهها المختلفة وافخرها عندهم تلك القادمة من جبل كاره ، او ينتظرون وصول الزبيب ليصنعوا منه الكحول المحلي ( عرق ) الشهير ، وتسمع صيحات صاحب الخان او اجيره بالاعلان عن وصول الزبيب الاحمر او الاسود او ( بجاره ) ، وكان ( مامي شابيرا ) يذرع السوق منادياً " زبيب ذلك الشيء ... " ( ببيش دئي خريته ) وذلك الشيء مقصود به العرق ، حتى لا تصل تلك الكلمة الى اذان الحكومة ! ولكون صنعه غير مسموح ، ورغم ذلك وفي كل الازمنة يصنع هناك للاستهلاك المحلي فقط .

في باب احد الخانات كان يجلس بواباً أعمى اسمه ( ججو ) حيث عمله قبض مبالغ عن الاحمال التي تدخل الخان ، وحين يحاول البعض خداعه بالادعاء ان عددها اقل ، فانه يصر على العدد المضبوط وتبين انه يحسب عدد الدواب او البغال الداخلة على صوت وقع اقدامها ! . لاتنتهي حكايات مجالس البلدة فيما نقلناه باقتضاب ، ويظل هذا الباب المثير مفتوحاً للمزيد من الكتابات التراثية الشيقة .